ذوقوا فتنتكم

نشرت مجلة ساينس دايجست Science Digest الاميركية في عددها الصادر في شهر مارس الماضي مقالاً بعنوان : « الاسترخاء طريق المصريين في الحياة » نكتفي بترجمة فقرات منه والتعليق عليها، فان ترجمة ذلك المقال بحروفه أمر يجر الى أذية تتحرز من الخوض فيها . قال الكاتب :

« منذ آلاف من السنين ، وضع المصريون مشروعاً حكومياً لتشييد المباني ، فأنتج ذلك المشروع الاهرام وأبا الهول . وإذا خدم المصري صديقاً مدفوعاً لذلك بدافع الكرم ، فقد لا يتورع عن أن يطلب ما يسميه البقشيش . وليس هذا لانه في الحقيقة يريد بقشيشاً ، بل لانه يريد أن يعد العلاقة بصاحبه بمثابة كلام يستهويه به » .

« ان احتقار المصري للمال يظهر جلياً من أسلوبه في التجارة . فاذا فرض ان رجلاً طامعاً أخذ يتاجر ، فانه يجتهد أولاً في أن يقع على شيء يحتاج اليه الناس ويشتريه بأقل مما يساوي ، ثم يبيعه بأكثر مما اشتراه به ، وليس المصري كذلك . فان المصري إذا اراد الاتجار يعمل بطريقة مصرية فذة . فيجمع قليلاً من زمارات الغاب القديمة ويضمها بعضها الى بعض أو يحصل على عنا كب مصنوعة من الجص أو زجاجة فارغة من زجاجات الويسكي يضع فيها سمكات ويمشي بها في الطرق العامة باحثاً عمن يبيعها اليه » .

« لا شيء حقير عند المصري ، فلا يمعن فيه تأملاً واستبصاراً . فانه يقف أحقاباً متطاولة ليقرر بأية قدميه يبدأ المشي . وقد يظل ساعات جالساً ليقرر هل يقوم » .

« يتكلم المصريون لغة لا يشاركهم فيها أحد . ويدل على جمالها ذلك المدى الواسع الذي يستعملونها فيه . فهم يتكلمون بغير توقف وبحماسة . واللغة المصرية المكتوبة أشبه شيء بخط محسن من الاختزال ، وقد نشأت بالطبع مع الفراعنة . ويحب المصريون الصور المتحركة الاميركية ومسرحيات وليم شكسبير ولا سيما عطيل » . (وقد خص الكاتب مسرحية عطيل بالذكر لان بطلها من البربر وفيها تصوير لناحية الثروة الجنسية وحب الانتقام والفتك)

ولا أدل على جهل ذلك الكاتب من قوله ان المصريين كالألمانيين ، يعتقدون ان تخشين الوجه يدل على حسن الخلق ، فيخشنون وجوههم

« ان صداقة المصريين تمتد الى جميع الحيوانات كبيرة وصغيرة ، من الجمل الى الصرصور . ويجدون في الحمار وسيلة أمثل من السيارات للجولان في أنحاء بلادهم »

« ان هذه الحمير هي من مملوكات هذه الأمة المتوارثة . فان حماراً مصريًا من الصنف الجيد قد يحمل مصريًا أثقل منهُ وزناً . فاذا ركب أب مصري حماره جلس على مؤخرة ظهره وبقية الأسرة من أمامه »

« ان المعزى ذائعة في مصر . وقد تعيش في المدن أو في الأقاليم في داخل البيوت أو في خارجها ، بمقتضى حالة الجو . وقد يعامل المصريون حتى الحشرات ، معاملة القديس فرنسيس للعصافير » .

« يغشى القاهرة قطعان من البواشق الأليفة تعيش على كرم الناس . والعصافير تجثم على النوائد وتقتات بفتاتها ، وللمصريين عيون سود ، ولون يختلف من لون القهوة المزوجة باللبن الى لون الفحم الحجري » .

« لعلمه بانه يعامل أناسي فيهم رصانة وتعقل ، تجد ان الذباب المصري آلف من غيره من الذباب في أماكن أخرى . فبدلاً من أن يطير مؤزًا لاقل سبب ، يشعر الذباب المصري إنه في بيته ، إذا ما وقف على جبهة واجتهد في أن يبني عشه هنالك » ...

* * *

إذا قيل هذا عن مصر في هذا العصر ، فانه يدل على ان الكاتب وأمثاله إنما يستغلون شهوة الجمهور الضال في أميركا ليكسبوا المال من أخس وجوه الكسب . فان مصر التي أنشأت أقدم مدنيَّة عرفها العالم وكانت ضفاف نيلها مرصعة بالمدن والهياكل والمعابد عند ما كانت القارة الأميركية خواء خلاء يسكنها البهور والقاطور والبوما ، تتقبل هذه الهدية من ذلك الكاتب كما يتقبل البحر الواسع الجبهة المتنة . فكم من جيفة ابتلعها البحر ، وكم من جيف سوف يبتلعها على مرّ الزمن ، فلم تكدّر من صفوه ولم تغيّر من طيبه .

إن الوجوه التي يعشش فيها الذباب في مصر لأشرف الف مرة ومرة ، من تلك الوجوه التي نعرفها في شيكاغو وعصابات شيكاغو . من وجوه آل كابوني وديلنجر وأمثالهم من عصابات الكوكلوكس كلان . إن هذه الوجوه وجوه بريئة ، والجباه التي يقف عليها الذباب لا تمر بها ذكريات كذكريات استئصال الهنود الحمر ، وذكريات حروب الاستئصال التي شنها أهل جنوب أميركا على سكان أميركا الأصليين . واذا أردت أيها القارىء ان تعرف شيئاً من

عقدة التربية

تعالى الله . لا ندري أصحيح ما نعلم من طبائع الاشياء ، أم نحن بيننا وبين الواقع حجاب من الاصطلاح اللفظي ؟ وان وسائطنا لادراك الحقائق ليست إلا حواسنا عبر الكثافة المتغيرة في كل لحظة . لكن ما علم منطبقة على الواقع من سر تلك المعلومات . فهل نحن نعرف شيئاً كثيراً من خواص الاجسام التي بين أيدينا نتخذها موضوعات للتحليل والتركيب والمشاهدات ؟ وهل نحن نعلم طبائع ما فيها من القوى ذات الآثار المادية اليومية والمستمرة في حياتنا الدنيا حتى نستطيع أن نكيف نفس الطفل ، تلك النفس الطامحة المتمردة ، وذلك العقل الوثاب الذي لا يقر على شيء ، مع اننا لا نستطيع بمشاهدتنا أن نضع قانوناً ثابتاً لحركات الطفل المادية . فانه ينط في البيت وفي الارض من هنا الى هناك ، ولو شددنا وثاقه لظل تسبب حركاته في كل الاتجاهات .

فليس معنى ذلك أن نكف عن البحث في قوانين التربية ونيأس جملة من الوصول الى اكتشاف الغرض الاخير ، والوسائل المؤدية لهذا الغرض لتحمل على تلك الأعلى للرجل . ذلك ما لا نريده ، وفي ظني اننا لو أردنا لما استطعنا تنفيذ تلك الارادة ، لأن هذا الشوق الى الكمال يظهر علينا انه بعض طبائعنا . ولكنا نرمي بما نقول الى أن التربية الانسانية عقدة ما قطعناها حتى الى الآن ، فلا بد أن يكون الغرض فيها مصحوباً بالمحاسبة بعض الشيء . ويكون تقرير خير الطرائق بغلبة الظن لا بالضرورة القطعية .

احمد لطفي السيد باشا

نقلاً عن الجزء الثاني من « المنتخبات » هدية المقتطف الذهبية

تاريخ هذه الوجوه التي لا يعشش فيها الذباب ، فليرجع الى كتاب « سياحة حول الارض » للعلامة دوزي ليعرف كيف يكون فن القتل وفن الاغتيال عندهم أبرع من أن يحس به الذباب الذي لا يعشش في وجوه أولئك .

نعم اننا لم نخترع المدفع الرشاش ، ولا البارجة الحربية ، ولا القنابل السامة . وخير لنا ان يعشش الذباب في وجوهنا من أن يخترع لنا التاريخ ذباباً خاصاً يرصع به جباهنا تلقاء تلك المخترعات ، أشبه بذاك الذي سيخترعه لاولئك الذين أنشروا مدنية صناعية مدوية ، ثم أخذوا يقوضونها ، لأن أرواحهم لا تحتمل الذباب إذا أراد أن يعشش في وجوههم .

إن مصر والشرق العربي كله من ورائها لن تنسى حسنة تأتيها من إنسان . ولكنها لن تتجاوز عن سيئة ترمى بها . وان الامة الاميركية الحرة ، لتنظر الى أمثال هذا الكاتب نظرة استخفاف ، عالمة ان تبادل الاحترام بين الشعوب أساس المودة والاخاء وتبادل التفاهم .